

مَدْحُ الْحُكَّامِ فِي مِيزَانِ الشَّرْعِ

إعداد

مُحَمَّدُ بْنُ رَاشِدِ بْنِ نَاصِرِ الْحَبْشَانِ

1441هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإن من المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام أن وجود الحاكم من أوجب الواجبات لما يترتب على ذلك من المصالح العامة والخاصة للأمة كلها وأن تحقيق تلك المصالح لا يتم بدون معرفة منزلة الحاكم والقيام بحقوقه كما جاء في الشرع المطهر من السمع والطاعة له بالمعروف والنصح بالطريقة الشرعية والتعاون معه على الخير وحفظ هيئته لدى عامة الناس ومجاهدة من يثبط عنه ويحرض عليه ويهيج الغوغاء ضده .

ومن المعلوم والمتقرر أن أول فرقة وفساد وبدعة حدثت في الإسلام كانت في الاخلال بهذا الباب العظيم واستمر أثر ذلك حتى يومنا حيث تنشأ ناشئة تحت اسم الدين ولباس إسلامي - كما يقال - وتبدأ في تبني الطريقة السبائية اليهودية في الطعن في الولاية ثم شيئاً فشيئاً حتى تشحن النفوس وتدب البغضاء بين الراعي والرعية وتتهياً العقول للانتقال لمرحلة متقدمة من التكفير وإعلان سقوط الولاية والسعي في استبدالها مما يسبب الفتن والافتتال الداخلي - والتاريخ والواقع خير شاهد - فيضعف بذلك جسد الأمة وتشتت الكلمة ويتفرق الصف ويحدث الفشل ويجد العدو فرصته لاختراق المجتمع واستخدام أبنائه أدوات لتنفيذ مخططاته كما حصل قديماً وحديثاً والتاريخ يشهد أن قوة المجتمع المسلم لمواجهة أعدائه تكمن في التمسك بما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته والبدء بمواجهة أعداء الداخل وتطهير الصف من الدخلاء والمنحرفين والخونة فحظ حصوننا من الداخل هو أول خطوة لرد عدوان العدو من الخارج

لذا اهتم الشرع والسلف بباب التعامل مع الحكام غاية الاهتمام وتكاثرت النصوص في هذا الباب حتى بلغت بمجموعها حد التواتر ولازال علماء السنة يؤكدون ماورد من حقوق الحكام في كتب عقائد أهل السنة حتى لا يكاد يخلو كتاب عقدي شامل من ذلك حتى عدو ذلك أصلا من أصول الإسلام من خالف فيه فهو مبتدع ضال خارج عن سبيل المؤمنين مبتغ سيرة الجاهلية في الإسلام

ولن أتكلم هنا عن كل مايتعلق بذلك فهو أكثر من أن يحصر وفي كتب أهل السنة قديما وحديثا مايكفي ويغني ولكني سأتكلم عن جزئية في هذا الباب تثار حولها الشبهات بين الفينة والأخرى بل أصبح بعض أهل الأهواء يستغلون ذلك في التشغيب على السلفيين والظعن فيهم بما هو حق لاريب فيه !!

وهذه المسألة هي مسألة (مدح الحكام)

وسأتطرق لها من النواحي التالية :

- 1- الأدلة الشرعية الواردة في الباب .
- 2- ماكان عليه السلف الصالح .
- 3- ماعليه علماء السنة وأئمة الدعوة السلفية عبر العصور في هذه المسألة .
- 4- رد بعض الشبهات المثارة من قبل بعض المندسين بين أبناء الدعوة السلفية .

وقبل الحديث عن ذلك لابد من تحرير محل النزاع وتجلية صور هذه المسألة وبيان حكمها :

الصورة الأولى :

مدح الحاكم بما ليس فيه ويخالف واقعه .

فهذا من الكذب المحرم وهو من صفات المنافقين .

الصورة الثانية :

مدح الحاكم أمامه والظعن فيه خلفه .

فهذا من صفات المنافقين أيضا وهو فعل الجماعات الباطنية .

الصورة الثالثة :

مدح الحكام بالحق لأجل مصلحة خاصة من أمور الدنيا .

فينطبق عليه ماورد في الصحيح : " ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته

إلى ماهاجر إليه "

الصورة الرابعة :

مدحهم في وجوههم مع غلبة افتتاهم بذلك .

فهذا لايجوز ويحمل عليه النصوص التي وردت في النهي عن المدح في الوجه .

الصورة الخامسة :

مدح الحكام بحق وبما فيهم من الخير لأجل مصالح المسلمين العامة سواء في الدنيا أو الدين .

وهو على قسمين :

1- ماكان أمامهم مع أمن افتتاحهم بالمدح وغلبة الظن بنفع ذلك في حثهم على خير أو منعهم من شر .

2- ماكان أمام الناس وفي المجالس لأجل تأليف القلوب وجمع الكلمة عليهم والرد على من يحمل نفس الخوارج ممن يشغبون عليهم ويهيجون النفوس ضدهم ويكتمون حسناهم ويشيعون أخطاءهم أو يضحمونها .

فهذا هو محور حديثي هنا وقد صرح بعضهم بالمنع من المدح مطلقا !! بل واعتبروه من باب الغلو في الحكام !!! وخلط بين الصور المتقدمة ولم يفرق بينها وهول الموضوع وصوره على أنه ذنب وجريمة ألحقها البعض بالمنهج السلفي !!!

وفي هذه الرسالة المختصرة أبين بطلان ذلك من أوجه:

الوجه الأول:

إن مما قررت الشريعة , أصلاً عظيمًا به قوام الدنيا والدين , وبه صلاح البلاد والعباد ألا وهو أصل السمع والطاعة لولاة الأمور وبما أن الشريعة أمرت به فهي تأمر بكل ما يؤدي إليه ويحافظ عليه من الوسائل الشرعية وتنهى عن كل ما يخل به.

فالشريعة هي القاضية بأن: الوسائل لها أحكام المقاصد.

وهذا مقرر عند أهل العلم معروف وأدلته كثيرة ليس هذا موضعها .

فهي قاعدة شرعية معتبرة.

وظهر تطبيق هذه القاعدة جليًا في باب السمع والطاعة فقد جعلت الشريعة عدة وسائل

للحفاظ على هذا الأصل فمنها إجمالاً:

- أمرها بتوقير الحاكم واحترامه وإكرامه ونهيتها عن سبه واحتقاره وإهانته:

وما ورد في ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن علماء الأمة في هذا كثير أذكر بعضه:

بؤب الإمام ابن أبي عاصم في كتابه السنة باباً بعنوان: "باب في ذكر فضل تعزيز الحاكم وتوقيره"¹ ثم ساق بسنده عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(خمسٌ من فعل واحدة منهن كان ضامناً على الله عز وجل: من عاد مريضاً , أو خرج مع جنازة , أو خرج غازياً , أو دخل على إمامه يريد إعزازه وتوقيره , أو قعد في بيته فسلم منه الناس وسلم من الناس)².

وساق بسنده أيضاً حديث أبي بكرة رضي الله عنه مرفوعاً: (السلطان ظل الله في الأرض فمن أكرمه أكرم الله , ومن أهانه أهانه الله)³.

وعن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (سيكون بعدي سلطانٌ فأعزوه , من التمس ذلُّه ثغر ثغرة في الإسلام ولم يقبل منه توبة حتى يعيدها كما كانت)⁴.

وكذلك جعل قوام السنة أبو القاسم الأصبهاني فصلاً بعنوان "فصل في فضل توقير الأمير" في كتابه الحجّة في بيان الحجّة⁵.

ومثلهما التبريزي في كتابه النصيحة⁶.

وغيرها كثير تركته خشية الإطالة ويكفي من القلادة ما أحاط بالعنق.

1 السنة 490/2-492.

2 ورواه أيضاً أحمد في المسند 241/5 وصححه الإمام الألباني بمجموع طرقه في ظلال الجنة 490/2-491.

3 ورواه أحمد والطيالسي وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة 376/5.

4 رواه أحمد 165/5 وابن أبي عاصم في السنة وصححه الألباني في ظلال الجنة 499/2.

5 409/2.

6 ص 89.

- أمرها بنصح الحاكم في السر:

عن عياض بن غنم رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من أراد أن ينصح لسلطان بأمرٍ فلا يبد له علانية , ولكن ليأخذ بيده , فيخلو به فإن قبل منه فذاك وإلا كان أذى الذي عليه له)⁷.

- الحث على الدعاء للحاكم:

قال الفضيل بن عياض رحمه الله: (لو أعلم أن لي دعوة مستجابة ما صيرتها إلا في الإمام) قيل: وكيف ذلك يا أبا علي؟ قال: (متى صيرتها في نفسي لم تجزني ومتى صيرتها في الإمام - يعني: عمّت - فصلاح الإمام صلاح العباد والبلاد ... فقبل ابن المبارك جبهته وقال: يا معلم الخير من يحسن هذا غيرك؟!)⁸.

- أمرها بالصبر على جوره:

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إنها ستكون بعدي أثرة وأمورٌ تنكرونها) قالوا: يا رسول الله فما تأمرنا؟ قال: (تؤدون الحق الذي عليكم وتسالون الله الذي لكم)⁹.

- أمرها بمحاربة كل من ينازعه حكمه:

فعن عرفجة بن أسعد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (مَنْ أَتَاكُمْ وَأَمْرُكُمْ جَمِيعٌ عَلَى رَجُلٍ وَاحِدٍ، يُرِيدُ أَنْ يَشُقَّ عَصَاكُمْ، أَوْ يُفَرِّقَ جَمَاعَتَكُمْ، فَافْتُلُوهُ)¹⁰.

⁷ رواه أحمد 15333 والحاكم 290/3 وابن أبي عاصم في السنة 1096 والطبراني في مسند الشاميين 94/2 وصححه الألباني في ظلال الجنة.

⁸ رواه أبو نعيم في الحلية 91/8 وابن عساكر في تاريخه 455/48 وإسناده صحيح وغيره كثير.

⁹ رواه البخاري 3603 ومسلم 1843.

ولو تأملت في المقصد الشرعي من هذه الأحكام المنصوص عليها لرأيت أنه لتحقيق مقصد عظيم وهو تأليف القلوب على الحكام وعدم التنفير منهم إذ هذا من أعظم ماتحقق به مصالح الناس ويدراً به عن البلاد والعباد الشرور والفتن إذ بحفظ هيبة ولي الأمر تتحقق المصالح وتستقيم حياة الناس عموماً ويترتب على هذا الأمن والاستقرار والاستخلاف في الأرض وعمارتها .

وفي ذلك يقول ابن جماعة (ت 733 هـ) رحمه الله في معرض كلامه عن حقوق الحاكم:

(الحق التاسع: رد القلوب النافرة عنه إليه وجمع محبة الناس عليه لما في ذلك من مصالح الأمة وانتظام أمور الملة.

الحق العاشر: الذب عنه بالقول والفعل وبالمال والنفس والأهل في الظاهر والباطن والسر والعلانية.

إذا وفّت الرعية بهذه الحقوق العشرة الواجبة وأحسنّت القيام بمجامعتها والمراعاة لمواقعها صفت القلوب وأخلصت واجتمعت الكلمة وانتصرت)¹².

وقال المناوي الحنفي (ت 1031 هـ) رحمه الله في ذكر ما يكون من النصيحة لولي الأمر:

(وذلك بمعاونتهم على الحق ... , وجمع الكلمة عليهم , وردّ القلوب النافرة إليهم)¹³.

وجمع القلوب على ولي الأمر من النصيحة له.

قال العلامة عبدالله بن حميد (ت 1402 هـ) رحمه الله:

¹⁰ رواه مسلم 1852.

¹¹ من أراد الاستزادة في معرفة حقوق الحاكم فليراجع الكتب التالية:

1/معاملة الحكام للشيخ عبدالسلام بن برجس آل عبدالكريم رحمه الله 2/ضوابط معاملة الحاكم عند أهل السنة والجماعة للشيخ خالد الظفيري وفقه الله 3/هيبة ولي الأمر واجب شرعي وضرورة دنيوية للشيخ دغش العجمي وفقه الله 4/الإنكار العلني على أئمة المسلمين وبيان أثره على جماعة المسلمين للشيخ ماهر خوجه وفقه الله.

¹² تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام 274-275.

¹³ الجواهر المضية في بيان الآداب السلطانية 145.

(ومعنى النصح لهم: تنبيههم عند الغفلة، وإرشادهم عند الهفوة، وغرس محبتهم في قلوب الرعية، ورد القلوب الشاردة إليهم، هذا الذي يجب لكم علينا وعلى أمثالنا)¹⁴.

قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله:

(ومن المناصحة لهم - يعني: ولاية الأمور - تأليف القلوب على ولي الأمر وأن يتعد عن كل ما يوجب النفرة عليه والحق)¹⁵.

فتبين بما تقدم أن أصل السمع والطاعة يتحقق بوسائل عديدة وأن من الوسائل المحققة لهذا الأصل تأليف قلوب الناس وجمعها على الحاكم.

ومدح الحاكم بما هو أهله وذكر صفاته الحسنة التي تحقق مقصد اجتماع الناس عليه وذكر حسناته والآثار المترتبة على مايقوم به من أعمال لصالح الأمة من أعظم ما يعين على تأليف الناس تجاه الحاكم فإذا ذكرت محاسنه وجمائل صنائعه أحببت القلوب هذا الحاكم لما له محاسن وفضائل وإن كتمت وسكت عنها سيغفل الكثير عنها وسيكون هذا المجتمع هشاً وسهل الاختراق وخصوصاً عندما يكون فيه نشاط لورثة ابن سبأ الذين يعملون على خلاف مقاصد الشرع في الغايات والوسائل فكان من المهم بيانها وتوضيحها للناس حتى يتحقق هذا المقصد الشرعي.

إذ كيف لهم أن يكونوا من الخيار الذين يحبون ويحبون وهو لا يعلم له محاسن وفضائل؟!!

هذا لا يتأتى إلا بذكرها والثناء عليه بها.

الوجه الثاني:

¹⁴ الدرر السنينة 430/15.
¹⁵ التعليق على السياسة الشرعية 452.

مدح المحسنين وأهل الطاعات والخيرات عمومًا من الشريعة فقد امتدح النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته وسلف الأمة وعلماءها من استحق المدح والثناء من الناس.

فمن ذلك:

- وصف النبي صلى الله عليه وسلم لخالد بن الوليد رضي الله عنه بـ (سيف الله المسلول)¹⁶.

- وقوله صلى الله عليه وسلم : (نعم الرجل أبو بكر نعم الرجل عمر نعم الرجل أبو عبيدة بن الجراح نعم الرجل أسيد بن حضير نعم الرجل ثابت بن قيس بن شماس نعم الرجل معاذ بن جبل نعم الرجل معاذ بن عمرو بن الجموح)¹⁷.

- وقوله صلى الله عليه وسلم : (نعم الرجل عبدالله لو كان يصلي من الليل)¹⁸.

والأمثلة كثيرة جدًا ومن تأمل كتب فضائل الصحابة علم ذلك.

الشاهد : أن المدح جائزٌ إذا كان بحق فكيف وهو يحقق مقصدا شرعيا كمدح ولاية الأمور بالحق فهو مشروع وليس جائزًا فحسب إذ به يحصل النصح لهم والذي منه غرس محبة الناس وتأليف قلوبهم على الحاكم بل قد يكون واجبًا إذا كان يترتب على تركه مفسدة كتمكن أهل الشر والخوارج من نفوس العوام بتحريضهم وتهيجهم على ولي الأمر مما قد يؤدي لوقوع الفتن وسفك الدماء وقطع السبل وانتهاك الأعراض .

وهنا لفظة مهمة:

¹⁶ رواه البخاري 3757.

¹⁷ رواه الترمذي 3795 والنسائي في السنن الكبرى 8230 وأحمد 9431 والحاكم 289/3 وغيرهم واللفظ للترمذي وإسناده صحيح لغيره.

¹⁸ رواه البخاري 2479 ومسلم 3739.

وهي أن النبي صلى الله عليه وسلم قد امتدح بعض الصحابة على أمور وعبادات مستحبة كقيام الليل مثلاً لما امتدح ابن عمر رضي الله عنه والمدح بالواجبات يشرع من باب أولى إذ ما تقرب متقرب إلى الله بشيء أحب إليه مما افترضه عليه.

وولاية أمور المسلمين من أعظم العبادات والطاعات الواجبة على الحاكم فإذا قام بما أوجب الله عليه من الدعوة للتوحيد والسنة وتطبيق الشريعة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والسعي في مصالح العباد وحفظ أمنهم وتوفير سبل العيش الكريم لهم وقمع المجرمين والسراق وقطاع الطرق وواد الفتن والعصبيات والحمية الجاهلية أفلا يستحق أن يذكر بذلك ليعرف الناس نعمة الله عليهم ويقدرها حق قدرها فيشكروها ويحافظوا عليها . بل حكى العز بن عبدالسلام إجماع المسلمين على أن الولايات من أفضل الطاعات¹⁹.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (يَجِبُ أَنْ يُعْرَفَ أَنَّ وِلَايَةَ أَمْرِ النَّاسِ مِنْ أَعْظَمِ وَاجِبَاتِ الدِّينِ؛ بَلْ لَا قِيَامَ لِلدِّينِ وَلَا لِلدُّنْيَا إِلَّا بِهَا)²⁰.

فالمدح والثناء على الحاكم أولى من المدح والثناء على فاعل المستحبات فليتنبه لهذا. قال ابن القيم رحمه الله: (فائدة: عوتب ابن عقيل في تقبيل يد السلطان حين صافحه فقال: "أرأيتم لو كان والدي فعل ذلك فقبلت يده أكان خطأ أم واقعا موقعه؟ قالوا: بلى، قال: فالأب يربي ولده تربية خاصة والسلطان يربي العالم تربية عامة فهو بالإكرام أولى")²¹.

الوجه الثالث:

19 القواعد لابن عبدالسلام 104/1.

20 مجموع الفتاوى 390/28.

21 بدائع الفوائد 176/3.

ينبغي أن يعلم أنه قد ورد في السنة وآثار السلف وأقوال العلماء ما يدل على جواز مدح الحكام بما فيهم فمما ورد:

- عن أم سلمة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إِنَّ بَارِضِ الْحَبَشَةِ مَلِكًا لَا يُظْلَمُ أَحَدٌ عِنْدَهُ؛ فَالْحَقُوا بِبِلَادِهِ حَتَّى يَجْعَلَ اللَّهُ لَكُمْ فَرَجًا وَمَخْرَجًا)²².

وجه الدلالة: أن فيه جواز مدح الحكام الكفار بما فيهم من الحق فمن باب أولى جواز مدح حكام المسلمين بما فيهم من الحق خصوصًا عندما تترجح مصلحة ذلك.

- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (مَاتَ الْيَوْمَ عَبْدٌ لِلَّهِ صَالِحٌ أَصْحَمَةٌ)²³.

- وعن عمرو بن ميمون الأودي قال - في سرده قصة موت عمر -: (وَوَجَّ عَلَيَّ شَابٌّ مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَقَالَ : أَبَشِّرْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِبُشْرَى اللَّهِ ، كَانَتْ لَكَ مِنَ الْقَدَمِ فِي الْإِسْلَامِ مَا قَدْ عَلِمْتَ ، ثُمَّ اسْتُخْلِفْتَ فَعَدَلْتَ ، ثُمَّ الشَّهَادَةُ بَعْدَ هَذَا كُلِّهِ ، فَقَالَ : لَيْتَنِي يَا ابْنَ أَخِي وَذَلِكَ كَفَافًا لَأَعْلَى وَلَا لِي)²⁴.

ولم ينكر عليه عمر ولا أنكر عليه أحد من الصحابة وقد روي أن الرجل لما ولى رأى عمر إسباله ثوبه فدعاه وأمره برفع إزاره فأنكر عليه المنكر ولو كان مدحه له منكرًا لأنكره عليه أو أنكره الصحابة.

- وعن ابن شهاب الزهري قال: حدثني عروة بن الزبير أَنَّ الْمِسْوَرَ بْنَ مَخْرَمَةَ أَخْبَرَهُ، أَنَّهُ قَدِمَ وَإِفْدًا عَلَى مُعَاوِيَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَقَضَى حَاجَتَهُ ثُمَّ دَعَاهُ فَقَالَ: " يَا مِسْوَرُ: مَا

²² رواه البيهقي في السنن 17734 وأبو طاهر المخلص في المخلصيات 52-53/3 وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة 3190 وشعيب الأرنؤوط في تخريج سير أعلام النبلاء 208/1.

²³ رواه مسلم 952.

²⁴ رواه البخاري 1339.

فَعَلَ طَعُنَكَ عَلَى الْأُمَّةِ؟ " قَالَ الْمِسْوَرُ: «دَعْنَا مِنْ هَذَا وَأَحْسِنْ فِيمَا قَدِمْنَا لَهُ» .
 قَالَ مُعَاوِيَةُ: «لَا أَدْعُكَ حَتَّى تَكَلَّمَ بِذَاتِ نَفْسِكَ وَالَّذِي تَعِيبُ عَلَيَّ» قَالَ الْمِسْوَرُ:
 «فَلَمْ أَدْعُ شَيْئًا أَعِيبُهُ عَلَيْهِ إِلَّا بَيْنْتُهُ» ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: «لَا أَبْرَأُ مِنَ الذَّنْبِ، فَهَلْ تَعُدُّ²⁵
 لَنَا يَا مِسْوَرُ بِمَّا نَلِي مِنَ الْإِصْلَاحِ فِي أَمْرِ النَّاسِ شَيْئًا، فَإِنَّ الْحَسَنَةَ بَعْشَرِ أَمْثَالِهَا، أَمْ
 تَعُدُّ الذُّنُوبَ وَتَتْرُكُ الْإِحْسَانَ» قَالَ الْمِسْوَرُ: «لَا وَاللَّهِ مَا نَذْكُرُ إِلَّا مَا نَرَى مِنْ هَذِهِ
 الذُّنُوبِ» . قَالَ مُعَاوِيَةُ: «فَإِنَّا نَعْتَرِفُ بِكُلِّ ذَنْبٍ أَذْنَبْنَاهُ، فَهَلْ لَكَ يَا مِسْوَرُ ذُنُوبٌ
 فِي خَاصَّتِكَ تَخْشَى أَنْ تُهْلِكَكَ إِنْ لَمْ يَغْفِرَهَا اللَّهُ لَكَ؟» قَالَ الْمِسْوَرُ: «نَعَمْ» . قَالَ
 مُعَاوِيَةُ: «فَمَا يَجْعَلُكَ بِأَحَقَّ بِرَجَاءِ الْمَغْفِرَةِ مِنِّي؟ فَوَ اللَّهُ لَمَا أَلِي مِنَ الْإِصْلَاحِ أَكْثَرُ
 بِمَّا تَلِي، وَلَكِنِّي وَاللَّهِ لَا أُحِيرُ بَيْنَ أَمْرَيْنِ مِنَ اللَّهِ وَغَيْرِهِ إِلَّا احْتَرْتُ اللَّهَ عَلَى مَا سِوَاهُ،
 وَإِنِّي لَعَلَى دِينٍ يُقْبَلُ فِيهِ الْعَمَلُ وَيُجْزَى فِيهِ بِالْحَسَنَاتِ وَيُجْزَى فِيهِ بِالذُّنُوبِ إِلَّا أَنْ
 يَغْفِرَ اللَّهُ عَنْهَا، وَإِنِّي لَأُحْتَسِبُ كُلَّ حَسَنَةٍ عَمَلْتُهَا بِأَضْعَافِهَا مِنَ الْأَجْرِ، وَإِنِّي لَأَلِي
 أُمُورًا عِظَامًا لَا أُحْصِيهَا، وَلَا يُحْصِيهَا مَنْ عَمِلَ لِلَّهِ بِهَا فِي الدُّنْيَا: إِقَامَةَ الصَّلَاةِ
 لِلْمُسْلِمِينَ، وَالْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالْحُكْمَ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ، وَالْأُمُورَ الَّتِي لَسْتُ أُحْصِيهَا
 وَإِنْ عَدَدْتُهَا، فَتَفَكَّرْ فِي ذَلِكَ " . قَالَ الْمِسْوَرُ: «فَعَرَفْتُ أَنَّ مُعَاوِيَةَ قَدْ خَصَمَنِي
 حِينَ ذَكَرَ مَا قَالَ» . قَالَ عُرْوَةُ: «فَلَمْ أَسْمَعْ الْمِسْوَرَ بَعْدُ يَذْكُرُ مُعَاوِيَةَ إِلَّا صَلَّى
 عَلَيْهِ»²⁵

- عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ نَاسًا قَالُوا لَهُ: إِنَّا نَدْخُلُ عَلَى سَلَاطِينِنَا فَنَقُولُ لَهُمْ
 بِخِلَافِ مَا نَتَكَلَّمُ إِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِهِمْ، قَالَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (كُنَّا نَعُدُّ
 هَذَا نِفَاقًا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ)²⁶.

قال الشيخ العلامة ابن باز رحمه الله في شرحه الحديث:

²⁵ رواه ابن سعد في الطبقات جزء متمم الصحابة الطبقة الرابعة ص 123 وابن عساکر في تاريخ دمشق 167/58 والخطيب
 البغدادي في تاريخ بغداد 576/1 وإسناده صحيح.
²⁶ رواه البخاري 7178.

(ولهذا قال ابنُ عمر رضي الله عنهما في الذين يمدحون الأمراء إذا قابلوهم، ويذموهم إذا خرجوا عنهم: أن هذا يُعدُّ في عهد النبي ﷺ من النفاق؛ لأنَّ المنافق يأتي هؤلاء بوجهٍ، وهؤلاء بوجهٍ، فله وجهان، بل عدة وجوه، فإذا جاء عند السلاطين أو عند من يرغب في دنياهم مدحهم، وإذا خرج ذمهم وعابهم، وهذا -والعياذ بالله- من قلة الأمانة وقلة المبالاة، ومن ضعف الإيمان، أو عدم الإيمان.

فالواجب على المسلم أن يُتصف، وإذا جلس مع الناس أن يقول الحق: فينصح المقصر، ويُذكِّر الغافل، هكذا المؤمن، لا يكون مداحًا بغير حق، بل يمدح على الخير، ويذم على الشر، ينصح إذا رأى تقصيرًا أو جفاءً، ويعظ ويُذكِّر إذا رأى غفلةً، وهكذا)²⁷.

- وقد خطب زياد بن أبيه (ت 53 هـ) خطبته في البصرة بعدما تولاهما وكان مما قال:
(أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّا أَصْبَحْنَا لَكُمْ سَادَةً، وَعَنْكُمْ ذَادَةً، نَسُوسُكُمْ بِسُلْطَانِ اللَّهِ الَّذِي
أَعْطَانَا، وَنَذُودُ عَنْكُمْ بِنِعَمِ اللَّهِ الَّذِي حَوَّلَنَا، فَلَنَا عَلَيْكُمْ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحْبَبْنَا،
وَلَكُمْ عَلَيْنَا الْعَدْلُ فِيمَا وُلِينَا....) قال بعدها الأحنف بن قيس رحمه الله فقال:
(أَيُّهَا الْأَمِيرُ، قَدْ قُلْتَ فَأَسْمَعْتَ، وَوَعظْتَ فَأَبْلَعْتَ، أَيُّهَا الْأَمِيرُ، إِنَّمَا السَّيْفُ بِحَدِّهِ،
وَالْفَرَسُ بِشِدِّهِ، وَالرَّجُلُ بِجِدِّهِ، وَإِنَّمَا الثَّنَاءُ بَعْدَ الْبَلَاءِ، وَالْحَمْدُ بَعْدَ الْقَضَاءِ، وَلَنْ نُثْنِي
حَتَّى نَبْتَلِ)²⁸ وفي لفظٍ آخر: (إِنَّ الْفَرَسَ بِشِدِّهِ، وَالْعَيْشَ بِكَدِّهِ، وَالسَّيْفَ بِحَدِّهِ،
وَالْمَرْءَ بِجِدِّهِ، وَإِنَّ جِدَّكَ قَدْ بَلَغَ مَا تَرَى، وَإِنَّ الثَّنَاءَ بَعْدَ الْبَلَاءِ، وَإِنَّا لَنْ نُثْنِي عَلَيْكَ
حَتَّى نَنْبَيْتَكَ، فَأَبْلُ خَيْرًا نُثْنِي خَيْرًا)²⁹. فانظر كيف جعل الأحنف بن قيس رحمه الله
الثناء بعد الابتلاء والاختبار مما يدل على جواز الثناء على الأمراء بالحق.

- وقد كان في زمن شيخ الإسلام أحد الولاة، وكان هناك شخص من أصحاب الدعوة والخير يمدح هذا الوالي ويكثر من مدحه، لكن لم يمدحه لأجل دنيا؛ بل

27 شرح رياض الصالحين 511.

28 الأخبار الموفقيات للزبير بن بكار (ت256هـ) ص 114.

29 الأخبار الموفقيات للزبير بن بكار ص 111.

مدحه لمصلحة عامة، وهو حصول: الاجتماع وعدم التفرق الذي ذمه النبي - صلى الله عليه وسلم- وكان شيخ الإسلام يثني على هذا الرجل ويذكر ثناءه على ذلك السلطان، ويعترف أن بمدحه حصل خير كثير من اجتماع الناس على السلطان، حتى أن شيخ الإسلام أثنى على الوالي ومدحه.

يقول شيخ الإسلام: (والسلطان -أيده الله وسدده- هو من أحق من تجب معاونته على مصالح الدنيا والآخرة، لما جمع الله فيه من الفضائل والمناقب. وكان من أسباب هذه التحية أن فلاناً قديماً، ولكثرة شكره للسلطان وثنائه عليه ودُعائه له حتى في الأسفار وغيرها يُكثرُ المفاوضة في محاسن السلطان، ويُجدد بحضوره للسلطان من الثناء والدعاء ما هو من بشرى المؤمن، كما قالوا: يا رسول الله! الرجل يعمل العمل لنفسه فيحمدُ الناس عليه، فقال: "تلك عاجلُ بشرى المؤمن". فالسلطان جعل الله فيه من الاشتمالِ على أهل الاستحقاق ما يأجره الله عليه. وفلانٌ هذا من خيارِ الناس وأصدقهم وأنفعهم، ومن بيت معروف، وقد جعل الله فيه من المحبة والثناء على السلطان ما هو من نعم الله عليه، وهو من أهل الخير والدين معروف، فجمع الله بسببه للسلطان قلوباً تُحب السلطان وتدعو له)³⁰.

وأذكر بعض أقوال العلماء في مدح الحكام بأعيانهم:

- الخليفة المتوكل العباسي (ت246هـ) رحمه الله:

قال فيه خليفة بن خياط: (استخلف المتوكل، فأظهر السنة، وتكلم بها في مجلسه، وكتب إلى الآفاق برفع المحنة، وبسط السنة، ونصر أهلها)³¹.

³⁰ جامع المسائل 229/5.
³¹ سير أعلام النبلاء 31/12.

وقال إبراهيم بن محمد التيمي رحمه الله: (الخلفاء ثلاثة: أبو بكر الصديق قاتل أهل الردة حتى استجابوا له، وعمر بن عبد العزيز ردّ مظالم بني أمية، والمتوكل محا البدع وأظهر السنة)³².

وقال عنه ابن الجوزي رحمه الله: (أطفأ المتوكل نيران البدعة، وأوقد مصابيح السنة)³³.

- أبو إسحاق محمد المهدي بالله بن الواثق (ت 256 هـ):

قال عنه الذهبي: (وكان أسمر رقيقاً مليح الصورة ورعاً تقياً. متعبداً عادلاً فارساً شجاعاً، قوياً في أمر الله، خليقاً للإمارة، لكنه لم يجد ناصرًا ولا معيناً على الخير وقيل: إنه سرد الصوم مدة إمارته وكان يقتنع بعض الليالي بخبز وخل وزيت، وكان يتشبه بعمر بن عبد العزيز.

وورد أنه كان له جبة صوف وكساء يتعبد فيه بالليل قد سد باب الملاهي والغناء. وحسم الأمراء عن الظلم، وكان يجلس بنفسه لعمل حساب الدواوين بين يديه. ثم إن الأتراك خرجوا عليه، فلبس السلاح وشهر سيفه. وحمل عليهم فجرح. ثم أسروه وخلعوه، ثم قتلوه إلى رحمة الله ورضوانه)³⁴.

- أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الأموي المرواني (ت 300 هـ):

قال عنه الذهبي رحمه الله: (وكان من الأمراء العادلين الذين يعزّ وجود مثلهم، كان صالحاً تقياً، كثير العبادة والتلاوة، رافعا لعلم الجهاد، ملتزماً للصلوات في الجامع، وله غزوات مشهودة)³⁵.

- محمود بن نصر بن صالح بن مرداس الكلابي (ت 467 هـ):

قال عنه الذهبي: (وكان شجاعاً كريماً عادلاً، عاقلاً، يُداري المصريين والعراقيين)³⁶.

32 الوافي بالوفيات للصفدي 78/9.

33 مناقب الإمام أحمد ص 313.

34 العبر في خبر من غير 367/1.

35 تاريخ الإسلام 184/22 - 185.

36 تاريخ الإسلام 254/10.

- إبراهيم بن مسعود بن محمود بن سُبُكْتِكِين (ت 481 هـ):

قال عنه الذهبي: (وكان كريماً، عادلاً، مجاهدًا، عاقلاً، له رأي ودهاء)³⁷.

- الإمام محمد بن سعود (ت 1179 هـ):

وقال عنه جمعٌ من العلماء الفضلاء وهم: محمد بن عبد اللطيف، والشيخ سعد بن حمد بن عتيق، والشيخ عبد الله بن عبد العزيز العنقري، والشيخ عمر بن محمد بن سليم، والشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف: (فإنه -أي الإمام المجدد- قام بهذه الدعوة أتم القيام، ووازره على ذلك، ونصره **الإمام محمد بن سعود، وأولاده وإخوانه**، فجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خيراً، فبسببهم دخل الناس في دين الله أفواجا، ونفذت الدعوة الإسلامية، وشملت كافة أهل نجد، البادية والحاضرة، وقام علم الجهاد، وانقمع أهل الغي والفساد)³⁸.

قال عنه الشيخ عبدالرحمن بن قاسم رحمه الله: (هو الإمام الرئيس، مجدد الجهاد بالعرم الخميس، الثبت الشجاع الحازم الأملعي، الهمام الصارم، إمام المسلمين، محيي العدل في العالمين، جامع كلمة المؤمنين، ناصر الموحدين، قائد المجاهدين، العادل المؤيد، بدر الزهاد، سلالة الأعماد، إمام الهدى، مطفي الردى، الأوحى بدر الزمان)³⁹.

- الإمام فيصل بن تركي (ت 1282 هـ):

قال عنه الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله:

37 تاريخ الإسلام 5/33
38 الدرر السنية 108/9.
39 الدرر السنية 347/16.

(والمقصود: أن الإمام فيصل بن تركي - وفقه الله وهداه وتولاه - ألقى الله في نفسه ما حصل من الفترة منكم وغيركم عن هذا الدين، والرغبة فيه والترغيب؛ فعزم على تجديد هذه الدعوة مخافة أن تدرس)⁴⁰.

وقال عنه الشيخ عبدالرحمن بن قاسم رحمه الله: (هو الخليفة العادل، الزاهد العابد، فخر الإسلام والمسلمين، ناصر شريعة سيد المرسلين، محيي العدل في العالمين، نصره المظلومين، قانع المعتدين والمسرفين، منبع الكرم والإحسان، مؤيد السنة والقرآن، الذاب عن حوزة الدين، القائم في مصالح المسلمين، الملتجئ إلى الله، المستضاء بداره، المطروق مورد فئاته، المصدوق في مورد ثنائه، المحقوق من كل ولي بولائه، نجل السادة الغر، القادة الزهر)⁴¹.

- الملك المؤسس عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود رحمه الله (ت 1373 هـ):

قال عنه الجمع المتقدم من العلماء: (ثم لما وقع الخلل من كثير من الناس، من عدم القيام بشكر هذه النعمة ورعايتها، ابتلوا بوقوع التفرق والاختلاف، وتسلب الأعداء، والرجوع إلى كثير من عوائدهم السالفة، حتى من الله في آخر هذا الزمان، بظهور الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل، أيده الله ووقفه، وما من الله به في ولايته، من انتشار هذه الدعوة الإسلامية، والملة الحنيفية، وقمع من خالفها، وإقبال كثير من البادية والحاضرة على هذا الدين، وترك عوائدهم الباطلة.

وكذلك ما حصل بسببه، من هدم القباب، ومحو معاهد الشرك والبدع، وردع أهل المعاصي والمخالفات، وإقامة دين الله في الحرمين الشريفين، زادهما الله تعالى تشريفاً وتكريماً، وكذلك ما من الله به على قبائل العرب، من الاجتماع بعد الفرقة، والائتلاف بعد العداوة التي كانت بينهم، والأمن والطمأنينة بعد الخوف، حتى صار الراكب يسير من الشام إلى اليمن، لا

⁴⁰ في رسالته إلى أهل الأحساء ضمن الدرر السنوية 325/1.

⁴¹ الدرر السنوية 95/16.

يخشى إلا الله. وهذه النعم يجب شكرها على جميع المسلمين، والحذر من الأسباب التي
توجب زوالها، أعاذنا الله وإخواننا المسلمين من ذلك)⁴².

وقال عنه الشيخان محمد بن عبداللطيف ومحمد بن إبراهيم رحمهم الله: (إمام المسلمين، ورافع
ألوية الدين: عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل آل سعود، لا زال للدين ناصرا؛ ولأعداء
الملة المحمدية كاسرا)⁴³.

وقال عن الإمام محمد بن عبداللطيف رحمه الله: (بعثنا الإمام المقدم، والرئيس المفضل
المفخم، صاحب السعادة والسيادة: عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل، آل سعود، أعلى
الله سعوده، وأدام للمسلمين وجوده)⁴⁴.

وقال له العلامة سليمان بن سحمان رحمه الله: (إلى حضرة محبنا وفاضلنا، ذي السعادة
والسيادة، الشيخ المفضل، والرئيس المبجل، الإمام: عبد العزيز بن الإمام المكرم عبد الرحمن
آل فيصل، أمدته الله بالتوفيق والتسديد، وخذل كل عدو له وللإسلام من قريب أو بعيد،
وأزاح عنه علل الشكوك، ورزقه الإيقان والسلوك، وألبسه لباس العز والتمكين، ونصر به
شريعة سيد المرسلين، أمين. سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وأزكى وأشرف تحياته)⁴⁵.

- الملك سعود بن عبدالعزيز آل سعود (ت 1388 هـ):

قال له العلامة عبدالله بن حميد في رسالة أرسلها إليه:

(إلى حضرة الإمام المكرم: سعود بن عبد العزيز آل سعود، لا برحت أيامه بوجوده زاهرة،
وسعادة دنياه متصلة بسعادة الآخرة.... وحكومتكم - والحمد لله - حكومة دينية

42 الدرر السنية 108/9-109.

43 الدرر السنية 33/13.

44 الدرر السنية 565/1.

45 الدرر السنية 540/14.

إسلامية، لا قوام لها ولا استقامة إلا بالتمسك بهذا الدين السماوي، والذب عنه بالسيف، واللسان، وجهاد من خالفه)⁴⁶.

- الملك فهد بن عبدالعزيز (ت 1426 هـ)

امتدح العلامة ابن عثيمين حكومتنا الرشيدة أمام جلاله الملك فهد رحمه الله وقال له بأننا لا نعلم حكومةً تحكم بشرع الله كهذه الحكومة وأي مدح أبلغ من أن يمدح بقيامه بشرع الله. وامتدحه أمامه وأمام الناس بأن أبوابه مفتوحة لكل أحد وقال: هذا من نعمة الله علينا وعليه⁴⁷.

فإن قيل: هذه الأقوال في الحكام بعد موتهم ولا يدخل في ذلك الأحياء.

فيقال الجواب من وجهين:

الوجه الأول:

إن مما تقدم من الآثار عن السلف كمدح الشاب الأنصاري لعمر وأمر معاوية المسور بن مخزومة بنشره محاسنه وإصلاحاته بين الناس يبطل قولك بأنه بعد موتهم بل في حياتهم ومنه ما هو في وجوههم .

وكذا ما حصل من أئمة الدعوة السلفية النجدية من المدح الصريح في حياتهم كمدحهم الإمام فيصل بن تركي حال حياته والملك عبدالعزيز حال حياته والملك سعود كذلك بل وبعضهم أمام وجوه الحكام كما فعل الشيخ محمد بن صالح العثيمين أمام الملك فهد مما يدل على أن هذه جادة علماء السنة قديما وحديثا خلافا لما يزعم بعض المتهوكين .

⁴⁶ الدرر السنية 430/15-431.

⁴⁷ كلمة العلامة ابن عثيمين ألقاها على مسمع جلاله الملك الراحل فهد بن عبدالعزيز رحمه الله في عزيمة يوم الأحد 1408/8/16 تجدها في اليوتيوب بعنوان: "كلمة نادرة للشيخ محمد بن صالح العثيمين أمام الملك فهد".

وهذا الذي وقفت عليه كان على عجل ولو تتبعت مدح علماء السنة وأئمتها للحكام
وثنائهم عليهم - ولن أحصي - لطال الكلام ولاحتمل كلامهم مجلدا.

الوجه الثاني:

أن يقال :

أنتم قررتم النهي عن مدح الحكام مطلقا ولم تفرقوا بين حال الموت وحال الحياة فما العلة
الآن في تفريقكم بين الحالتين؟

فإن قلت: خشية الفتنة على الحاكم !!.

فيقال لكم: يلزمكم أن تخرجوا مسألة مدح الحكام عند الناس إذ لا فتنة فيه على
الحاكم وبه يتحقق المقصد المتقدم وهو مقصد تأليف قلوب الناس على الحاكم.

وأما بالنسبة لما ذكرتموه من خشية الفتنة فالجواب عنه أن يقال :

من قال :

بأننا نرى جواز مدح الحكام في وجوههم مع أننا نعلم بأنه سيكون فتنة لهم؟

بل نقول :

إن كان في مدحهم في وجوههم فتنة لهم فلا يجوز إذ به مفسدة شرعية.

وإن لم يتبين لنا كونه فتنة لهم فلا حرج في مدحهم أمامهم لما ثبت عن النبي صلى الله
عليه وسلم من أنه مدح أناسا في وجوههم وآخرين خلف ظهورهم مع علمه بأن مدحه
سيبلغهم خبره ولم يمتنع بحجة خشية الفتنة وكذلك العلماء المتقدم ذكرهم مدحهم في
وجوههم ولم يمتنعوا بحجة خشية الفتنة إذ لم يترجح عندهم فتنتهم بالمدح.

ولو كان المدح منهياً عنه مطلقاً بحجة خشية الفتنة ما امتدح أحد أحداً لا الصحابة ولا من بعدهم إذ الناس غير الأنبياء بشر لا تؤمن عليهم الفتنة وهذا القول لا نعلم أحداً قاله ألبتة بل تجد حتى في غير مسألتنا تجد العلماء يمدح بعضهم بعضاً في وجوههم وأمام الناس والشيخ يمدح تلميذه أمامه وأمام الناس والمشتري يمدح هذا البائع بالأمانة والصدق أمامه وأمام الناس وهلم جراً.

فلمدح ينهى عنه إذا غلب على الظن حصول فتنة بسببه.

الوجه الرابع: أنه يترتب على سكوتنا عن مدحهم والثناء عليهم بما لهم من فضائل ومحاسن إعانة أعداءنا علينا!! ووجه ذلك :

أن الأعداء المتربصون بنا من كل جانب ما فتئوا يحرصون على حكامنا ويتنصونهم ويظهرون سيئاتهم وأخطائهم ويضخمونها بل قلبوا إحسانهم إساءة وفضلهم نقمة!! وهذا إذا سمعه الناس فبالطبع سيأتي في النفوس على هؤلاء الحكام البغض والكرهية وتتراكم هذه على مر الزمن وعلى الأجيال المتتالية وهذا كله يتنافى مع مقصد الشريعة في تأليف قلوب الناس على حكامهم فذكر محاسنهم ومدحهم بالحق الذي فيهم مما يفشل مشاريع الخوارج ويفسد مخططاتهم فكان لزاماً علينا بيان ما لهم من الحقوق في الشريعة وفقاً لمنهج السلف الصالح وما زبر في كتب عقائد أهل السنة والجماعة ومما يسهم في تحقيق ذلك ذكر فضائلهم ومدحهم بها عند حتى نسلم من شرور هؤلاء ونحقق المقصد الشرعي إذ كيف يتحقق مقصد اجتماع الناس وتآلفهم على حكام لا يسمعون إلا عن منكراتهم وسيئاتهم وحملات التشويه التي تشن عليهم — من هؤلاء الأعداء -!؟

وقد حرص العلماء على الذب عن الحكام والأمراء منذ القدم:

وقد قال الشريف ابن أبي موسى الهاشمي الحنبلي رحمه الله (ت 428 هـ):

(وفرض عليه النصيحة لإمامه وطاعته في غير معصية الله عز وجل **والذود عنه**)⁴⁸.

وقال العلامة نصير الدين السامري الحنبلي رحمه الله (ت 616 هـ):

(وفرض عليه النصيحة لإمامه وطاعته في غير معصية الله **والذب عنه**)⁴⁹.

ومثلهما الإمام ابن عبدالمهادي رحمه الله (ت 909 هـ)⁵⁰.

وبوّب العلامة البوصيري (ت 840 هـ) في إتحاف الخيرة باباً في الذب عن الإمام حيث قال:

(باب الدخول على الإمام **والذب عنه** والنصح له)⁵¹.

وهنا أصل إلى نهاية المقصود ولعل فيما تقدم كفاية لمن أراد الحق وتجرد له أما أصحاب
الهُوى والحزبيين ورجيعهم ممن لازالت ترسبات الحزبية ظاهرة على طرحهم فالله حسيبهم
كفى الله الدعوة السلفية ودعاتها شرهم وفتنتهم ورد كيدهم في نحورهم .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

كان الفراغ منه بفضل الله ظهيرة يوم الأحد : 5 / ذو الحجة / 1441

48 الإرشاد إلى سبيل الرشاد له ص 531.

49 المستوعب 803/2.

50 إيضاح طرق الاستقامة له 204.

51 67/5.